العبادة الهيكلية في الكتاب المقدس
رابعا- هيكل زربابل

لمحة تمهيدية:
ظهر هيكل زربابل إلى الوجود من العدم، أو من المستحيل إن سياسيا أو دينيا أو شعبيا واجتماعيا. فعندما تجرأ نحميا أو عزرا وحلم بهيكل في أورشليم، كان الوضع كما رأينا لمحة عنه في القسم الثالث من هذه الدراسة:
شعب بجملته قد سبي من أكثر من خمسين أوستين سنة، يعيش عبودية بكل ما تحمل الكلمة من معان. وهيكل اندثر عن وجه الأرض وشعب نسي الهيكل بل وحتى شكل الهيكل. "فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ مَلِكَ الْكِلْدَانِيِّينَ فَقَتَلَ مُخْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ .وَلَمْ يَشْفِقْ عَلَى فَتًى أَوْ عَذْرَاءَ، وَلاَ عَلَى شَيْخٍ أَوْ أَشْيَبَ، بَلْ دَفَعَ الْجَمِيعَ لِيَدِهِ، وَجَمِيعُ آنِيَةِ بَيْتِ اللهِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَائِهِ أَتَى بِهَا جَمِيعًا إِلَى بَابِلَ، وَأَحْرَقُوا بَيْتَ اللهِ، وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ، وَأَهْلَكُوا جَمِيعَ آنِيَتِهَا الثَّمِينَةِ، وَسَبَى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ إِلَى بَابِلَ، فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عَبِيدًا إِلَى أَنْ مَلَكَتْ مَمْلَكَةُ فَارِسَ" (2أخ 36/17-20)
إضافة إلى ذلك، التغيرات العالمية الكبرى: فالفرس وآلهتهم انتصروا على البابليين وآلهتهم (538 ق.م)! فأين يقف نحميا أو عزرا أو زربابل وإلههم من هذا كله؟

صناعة المستحيل:
ماذا تفعل المملكة المنتصرة بعبيد وإماء المملكة الخاسرة؟ لا أحد يعرف، لكل حرب نتائجها ولكل ملك طريقته ولكل شعب تقليده. أقل ما يمكن أن يقال: إنهم كانوا عبيدا لذلك السيد وسيصيرون اليوم عبيدا لهذا السيد.
ويوم حدث السبي، أطلق نبي "وَيَكُونُ عِنْدَ تَمَامِ السَّبْعِينَ سَنَةً أَنِّي أُعَاقِبُ مَلِكَ بَابِلَ، وَتِلْكَ الأُمَّةَ، يَقُولُ الرَّبُّ، عَلَى إِثْمِهِمْ وَأَرْضَ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَأَجْعَلُهَا خِرَبًا أَبَدِيَّةً" (ار25/12) سخر منه الناس، ومات الوعد تحت وطأة السبي والعبودية المرة.
لكن الوعد كان من عند السيد الرب، فكيف يموت؟
بدأ المستحيل يتحول إلى شبه حقيقة، مع التدخلات الإلهية الخاصة جدا التي جعلت كورش يأخذ قرارا جديد وغير متوقع "فِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ لأَجْلِ تَكْمِيلِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ، فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَكَذَا بِالْكِتَابَةِ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ :إِنَّ الرَّبَّ إِلهَ السَّمَاءِ قَدْ أَعْطَانِي جَمِيعَ مَمَالِكِ الأَرْضِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا .مَنْ مِنْكُمْ مِنْ جَمِيعِ شَعْبِهِ، الرَّبُّ إِلهُهُ مَعَهُ وَلْيَصْعَدْ" (2أخ 36/22و23).

مراحل البناء والعمل:
تتوزع التفاصيل المتعلقة ببناء هذا الهيكل والظروف المحيطة به وبعض لمحات من حياة الشعب وتدينه في تلك المرحلة نجدها في كل من سفر عزرا، نحميا، زكريا وحجي.

- كما انهينا الفقرة السابقة، فإن البدء بهذا المشروع الجديد كان ببادرة من الملك كورش حوالي العام (537 ق.م).
- ساهم الملك نفسه بذخائر وتقدمات لاعادة بناء الهيكل وتمكين أورشليم من الحياة من جديد (عز 1/7و8، 4/6و5).
- كان لابد من عودة بضعة آلاف من المسبيين للبدء بالعمل والمواظبة عليه، وهذا ما حدث بقيادة شيشبصر أو زربابل ويهوشع أو يشوع الكاهن العظيم (عز 5، زك 3/3).
- أول خطوة في البناء حسبما يخبرنا سفر عزرا كان بناء المذبح للانطلاق بتقديم الذبائح، كأهم خطوة تتعلق بالهيكل وبالعلاقة مع الرب (2/3).
- ثم وضعوا الأساس للبناء الجديد وأقاموا احتفالات خاصة بالحدث (عز 3/8 و10).
- بعد وضع الأساس أتت أولى العقبات أو الأزمات:
  فقد طالب السامريون المشاركة في نباء الهيكل، إلا أن زربابل ومن معه من اليهود رفضوا، فراحوا يحرضون عليهم الشعوب الأخرى التي كانت ساكنة في الجوار (عز 4/4و5)، ثم تقدموا بشكوى ضدهم للملك أحشويروش ثم أرتحششتا الذي أمر بتوقيف أي أعمال بناء في أورشليم (عز4/23و24) واستمر التوقف مدة 15 سنة.
- تطلب الأمر انتظار وصول الملك داريوس للسلطة، حيث سمح اعتبارا من السنة الثانية من ملكه إعادة العمل بالبناء الذي أكمل عام 516 ق.م (عز 6/8و 9، و15 و16).
- هنا أيضا وكما جرى مع بناء هيكل سليمان، فإن معظم مواد البناء كانت من صيدا، كذلك العمال الفنيين (عز 3/7).

شكل الهيكل وتفاصيله:
إن مقارنة ظروف بناء هذا الهيكل مع ظروف بناء هيكل سليمان، حيث كانت المملكة في أوج مجدها مقارنة بكثير من الممالك المجاورة آنذاك، تجعلنا نجزم أن هيكل زربابل كان أقل جمالا وعظمة من هيكل سليمان (عز12/3، حج 3/2). ولربما من هنا كانت الصور النبوية المتعلقة بهيكل آت يكون أعظم وأعلى شأنا.

من حيث تقسيماته، على ما يبدو أن هيكل زربابل حافظ من حيث المبدأ على النقاط المركزية في الهيكل كما هيكل سليمان وخيمة الاجتماع، أقصد القدس وقدس الأقداس والدار الخارجية. في الواقع هناك تفاصيل كثيرة عن هذا الهيكل في أسفار المكابيين الأبوكريفية.

أبرز المحطات االتاريخية:
مر على هذا الهيكل زمان لا يقل عن 200-300 سنة من الهدوء والاستقرار، وذلك حتى انقسام مملكة الاسكندر المقدوني، حيث وقعت سوريا تحت حكم السلوقيين. وما أن وصل ملكهم أنطيوخوس أبيفانيوس، حتى بدأت المتاعب الحقيقية للهيود والهيكل نفسه.

- في العام 168 ق.م اقتحم أنطيوخوس الهيكل وتعمد تدنيسه وتدنيس المذبح، وذلك بعد معارك في المدينة كان قد مر عليها لا يقل عن سنتين.
في الواقع، إن عيد التجديد المذكور في (يو 22/10)، متعلق مباشرة بهذه المناسبة. فهو يشير إلى احتفالات إعادة فتح الهيكل وتجديد المذبح الذين دنسه أنطيوخوس، إذ قام اليهود بتحطيم المذبح القديم، وبناء واحد جديد.
- بعد هذا، تحول الهيكل بشكل خاص إلى محطة تجمع للمحاربين اليهود، ولكثير من المعارك التي وقعت بينهم وبين السلوقيين، وبعدهم الرومان.
- كانت المائة سنة الأخيرة قبل الميلاد زمن تقلقل واضطرابات شديدة جدا في أورشليم وعموم فلسطين، حيث انتهت هذه القلاقل "جزئيا" باقتحام بومبي القائد الروماني أورشليم وتدميره هيكل زربابل عام 63 ق.م، ليستقر فيما بعد هيرودس ملكا على هذه المقاطعة الرومانية الجديدة عام 37 ق.م.

قصة هيكل زربابل تضع أمامنا تحديا هاما جدا، متعلق بثقتنا بوعود الرب من ناحية، ومن ناحية أخرى متعلق باستعدادنا لانجاز عمله بما هو متوفر بين أيدينا وبأنفسنا.
فقط صدر الأمر من عند الرب إلى كورش، وأصدر كورش الأوامر اللازمة. وكان أمام زربابل وسواه من محبي الرب وخدمته إما أن ينتظروا تراجع كل الغيوم والضباب حتى تظهر الرؤيا جلية تماما، وأن ينتظروا توفر المواد والمستلزمات الضرورية للبناء. أو ينطلقوا:
يتبرعون مما بين أيديهم للبناء، يبنون بأنفسهم، يحرسون ليلا ويعلمون ويتعلمون الشريعة في أوقات الفراغ.

فأي من هذه الخيارات تختار؟